# البـاب الأول

# الصيـام عند البدائييـن

## الصيام عند البدائيين

لقد انتشر الوجود الإنسانى وامتد لكافة بقاع الأرض منذ الأزل، وهناك أزمنة غابرة لا علم للتاريخ ببدايتها.. فنرى مثلا بعض القبائل البدائية التى احتجزت فى مناطق معينة ولم تستطع مواصلة الهجرة بسبب طبيعة تلك المناطق كما حدث فى بعض مناطق إفريقيا واستراليا، وبالتالى لم يتطور هؤلاء ولم تكن لهم أشكال حضارية بعكس ما حدث لقبائل أخرى فى الشرق والغرب تطورت وأصبحت لها حضارة وسجل لهم العلماء تاريخا يحمل بين طياته عاداتهم وتقاليدهم، ويوضح كيف تطور هؤلاء الذين كانوا أحيانا يأكلون أبناءهم أو يلقونهم فى النار حين يمارسون بعض طقوسهم، وكيف وصل التطور بهؤلاء لدرجة أنهم تأملوا الكون من حولهم وأيقنوا أنه لابد من وجود قوة عظمى تدير هذا الكون، وأصبحت لهم عقائدهم الدينية التى دفعتهم للبحث عن رب يعبدونه، وأخذ البعض منهم يتجهون لعبادة الأجرام السماوية، أو عبادة السابقين من الآباء والأجداد وتقديسهم، والبعض الآخر كان يقدس العلاقات الجنسية، وهناك عبادة ظهرت فى تلك الآونة تسمى بالتوتمية ولها طقوسها أيضا.

وعموما فكل عبادة من تلك العبادات التى مارسها البدائيون كان من أهم شعائرها الصيام.. **وقد كانت هناك أنواع من الصيام:**

**الأول**: صيام لجميع أفراد القبيلة يؤدونه فى ميعاد واحد.

**والثانى**: صيام يرتبط بأشياء عارضة ويمارس من أجلها..

**ونوع ثالث**: صيام تستدعيه الوظيفة.

ولكن قبل أن نسترسل فى شرح أنواع الصيام عند البدائيين لابد لنا من التعرف على من يشرع لهم تلك التشريعات.. **فمن هو يا ترى الذى كان يقتاد هذه القبائل ويسن لهم قوانينهم ويشرع لهم ولا يخالفون أوامره؟!**

**إنه الكاهن**.. نعم الكاهن وقد كانت شخصيته ذات نفوذ عال.. فقد كان صاحب الكلمة وصاحب التشريعات وهو الذى يستطيع أن يجعل الجميع يمارسون تشريعاته لما له عليهم من تأثير لا يضاهيه تأثير.. وقد كانت هناك شعائر عديدة كالصلاة والصمت والتوقف عن العمل بجانب الصيام.

• ومن أغرب الأشياء التى كانت تحدث فى تلك الأزمنة صيام بعض الكهنة المكسيكيين الذى كان يقدم عليه الكاهن ليثبت للناس صدق صيامه بالدليل الذى يقطع الشك باليقين.. فقد كان الكاهن يعقل لسانه بقطعة من الخشب تخترقه وتربطه بالشفتين من أول أيام صيامه لنهايتها.

وقد تستغرق أيام الصيام هذه ما بين ستين ومائة يوم بلا انقطاع، فإذا اجتازها الكاهن بنجاح.. فذلك يرفع قدره فى نظرهم حيث يصل

لمستوى أنصاف الآلهة وبالطبع هناك الكثير الذى يترتب على ذلك.

أما إذا لم يستطع وعجز عن ذلك فما عليه إلا أن يختار أحد دهاليز المعابد ويسجن نفسه فيه لمدة سنة.

وهكذا كان يدفع كهان تلك الأزمنة ثمنا باهظا من أجل الحفاظ على وظيفتهم فما كانوا يحصلون عليه من كسب ونفوذ يدفعهم لذلك.

وقد كانت عليهم واجبات متوارثة لابد لهم من القيام بها وكان الصيام من تلك الواجبات، فقد كان لزاما عليهم الصيام فى جميع خلواتهم الكهنوتية، وقد اختلفت تلك الخلوات من ناحية مضمونها، فبعضها كان يتم من أجل الاستسقاء ونزول المطر والبعض الآخر لممارسة شعائرهم.

وكان يختلف نظام تلك الخلوات بحسب سن الكهنة، فالكبار مثلا يصومون ثمانية أيام، أما الصغار فأربعة فقط.

وكان هذا الصيام صياما عن الطعام والشراب والعمل والكلام أيضا، حيث يجلس الكاهن بلا حراك فى صمت تام ويركز كل تفكيره فى الطقوس التى من أجلها وجد فى تلك الخلوة.

• أما الشعب المكسيكى الذى كان يخضع لأحد الكهنة فعليه أن يصوم هو الآخر لفترة معينة، ثم يتناول الجميع طعامهم من التمثال المقدس.. **ولكن ممَّ يصنع هذا التمثال؟!**

هذا التمثال كان يصنع من الغلال والخضر.. وللأسف- كانوا

يعجنون هذا بدماء صبيان يضحى بهم فى تلك المناسبة.. ولم يكن هذا الصيام وقفا على هؤلاء بل انتشر فى أوساط عديدة من البدائيين.. وهم من نزلت فيهم تلك الآية: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاءً عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام:١٤٠].

• وإذا ما تركنا تلك القبائل وانتقلنا إلى إحدى عشائر الهنود الحمر بأمريكا، وكانت تسمى بعشائر "السناتيموك"، وكان أفرادها يصومون حين تغيب الشمس ولا ينتهى صيامهم إلا بظهورها ساطعة، وإذا لم تظهر وأظلها غيم يظلون على صيامهم إلى أن يزول ذلك الغيم ويظهر قرصها ساطعا متوسط السماء.

وقد مارس هذا الصيام أيضا عبدة الشمس فى الهند وقد مارسوه بنفس الطريقة السابقة.

• ومن أغرب أنواع الصيام التى كان يلتزم بها بعض البدائيين صيام الوضع.. فمثلا بعض العشائر التى كانت تنتمى "للأرابيش" – "بجزر المحيط الهادى"- جعلت صيام الزوجين مقرراً فى اليوم الأول من الوضع فى نفس المنزل الذى أعد من أجل الولادة.. وعليهما أن يصوما إلى بعد انتهاء فترة "النفاس" ثم تعود المرأة، بعد ذلك إلى بيتها.. وفى تلك الفترة يمتنع الزوجان عن تناول اللحم أو نحوه.

والأنثى من قبائل "الأرابيش" تبتعد خلال فترة الحمل، عن تناول الفأر الهندى أو الضفدعة، أو الثعبان المائى. وهى أصناف تأكلها فى

الأحوال العادية، وتمتنع عنها – أثناء الحمل – مخافة أن تصاب هى أو حملها بسوء.

أما عن صيام "بلوغ الفتاة" فكان على من تبلغ الحلم أن تصوم خمسة أو ستة أيام وتمتنع خلالها عن الطعام والشراب تماما.

- وصيام العروسين مارسه هنود "الأزتك" بالمكسيك القديمة، فكان على العروسين أن يعود كل منهما لداره بعد انتهاء وليمة العرس ليبدآ الصيام والتكفير لمدة أربعة أيام.

- أما صيام التوتمية فله طقوسه الخاصة.. **ولكن ماذا نعنى بالتوتمية؟!**

"التوتمية".. من أقدم الديانات البدائية ولها صيامها الخاص بـ "التوتم الفردى"، وهو "توتم" يعتقد صاحبه أنه نصيره وحاميه.

فإذا أراد الفرد، أن يكتشف "توتمه" الشخصى، فعليه أن يبدأ عزلة تامة، بعيدا عن أعين الناس، ويظل صائما منكبا على أوراده ليل نهار، لايدخر فى ذلك طاقة، حارما نفسه تماما من كل لذائذها، إلى أن تبدو له رؤيا ترشده إلى "توتمه" ولو اقتضى الأمر أن يظل هكذا شهوراً، فإذا عرف "توتمه" اتخذه تميمة – وهو ما يسميه العامة حجابا – يعلقها فى رقبته أو حيث يريد، وينتهى عندئذ صيامه، وما ترتب عليه من حرمان.

وتعتبر القبائل "التوتمية" سلامة أفراد "التوتم الحيوانى"، مظهرا من مظاهر تقديسه، فحرمت – إلا فى ظروف مقيدة جدا – مسّ الحيوان التوتم بسوء، فضلا عن عدم تناول لحمه. فإذا كان هذا "التوتم"

غزالا مثلا وجبت حمايته، ومن ثم امتنع تناول لحمه إلا فى ظروف خاصة جداً.

ولازالت "التوتمية" تنتشر للآن بين القبائل البدائية باستراليا وغينيا الجديدة وأيرلندا وقبائل الهنود الحمر بأمريكا، والنظام التوتمى معتقد يجعل العشيرة منحدرة من أصل حيوانى أو نباتى تتخذه القبيلة رمزاً لها ولقباً يحمله جميع أفرادها.

• وتعتبر قبائل "البيبلوس" فى الجنوب الغربى من أمريكا الشمالية، هذه الطقوس الفردية "خبرات تجلب التصدع"، ومن ثم ترفض القيام بها.

ويمارس الكثير من "البيبلوس" الصيام، من حيث هو شعيرة تعبدية عامة ويرفضونه كرتبة للتجلى الروحى، وسبيلا للاستكشاف، ويعتبرون القوة الحامية للشخص منهم تأتيه من انتسابه لطائفة دينية، وحفظ شعائرها.

• وهناك ظاهرة عميقة الجذور وهى "صيام الصمت".. **فكيف كان يمارس هذا؟**

لقد سبق أن تناولنا هذا من خلال حديثنا عن الكهنة وخلواتهم ولكن مالم نقله أن هذا الصيام ليس ملزماً للكهنة فقط، ولكن كان يمارسه الجميع كباراً وصغاراً فى بعض المناسبات.. فمثلا كان محتماً على الرجال والنساء فى تلك الأثناء التزامه عندما يموت شخص معين فكانت طائفة مثل "البيبلوس" – التى تحدثنا عنها من قبل- تنهى حدادها بعد أربعة أيام ويعتزل خلالها الحزين الحياة لتلك المدة ويظل

صامتا ويمتنع الناس عن مخاطبته.. وكذلك إذا توفى الزوج فعلى الزوجة أن تمكث صامتة لمدة عام.

وكانت تلك القبيلة تعاقب القاتل بعزله تماما ويجلس بغير حراك صامتا وتمنع عنه الطعام والشراب مدة العقوبة وبعد أن يتلقى هذا العقاب إذا سلم ممكن أن ينتسب لطائفة الحرب التى تتبع هذه القبيلة.

وكثيراً ما يقترن هذا النوع من الصيام بالكف عن العمل حتى يستطيع الصائم أن يعتزل الناس ويصمت.

وهكذا إذا دققنا البحث نجد أن أيام الصيام فى تلك الأزمنة كانت كثيرة ولها أغراضها ومناسباتها،وكانت تمارس على أساس ما اشترعوه لأنفسهم ومارسمه لهم كهنتهم ولم تكن تمارس على أمر سماوى.

• ولنترك هؤلاء البدائيين وندخل للعصر التاريخى ونأخذ نماذج من الحضارات التى نادى البعض فيها بالصوم والبعض الآخر بعدمه. **وهنا يستوقفنا سؤال مهم وهو: ما المقصود بالعصر التاريخى؟!**

ليس المقصود بالعصر التاريخى هنا اكتمال إنسانية الأمم ولكن المقصود دخول هذه الأمم التاريخ بأن تركت للبشرية أخباراً وآثاراً تتعلق بشئونها.

ومصر من أعرق الأمم التى دخلت عصرها التاريخى منذ أكثر من أربعة آلاف سنة قبل الميلاد بعكس غيرها من الأمم، فنجد ألمانيا مثلا أمة لها تاريخ ولكن لم يؤرخ لها إلا منذ القرن الأول الميلادى.. ولو نظرنا لتاريخ الأمم سنجد أن هناك الكثير منها لها تاريخ إلا أنها لم تبدأ عصرها التاريخى فى وقت واحد.

وكانت فى تلك الأزمنة البعيدة تسود الحروب والهمجية، وبالتالى تفرض الأمة الغالبة ديانتها على البلاد التى تفتحها وتنتصر عليها وتلزم أهلها بشرائعها.

• وقد كان هناك تباين فى تلك الأوقات بين من يقر الصوم ومن يعاديه فمثلا ما بين القرن العاشر والسادس قبل الميلاد ظهر "زرادشت" الذى دعا لبطلان الصيام وحرمت شريعته الصوم لتتوافر القوة فى جميع أفراد الشعب.. وعلى عكسه تماما كان شعب فارس الذى اعتاد الاكتفاء بوجبة واحدة من الطعام فى اليوم وجعل الماء شرابه، وكان تعوده على هذا النظام سببا فى مجد فارس الحربى حيث كان جيشها العظيم لا يكلف خزانتها الكثير.

• وكذلك كانت طبقة "الساموراى" فى الجيش اليابانى القديم تقر الوجبة الواحدة وتعتبر هذا شرفا لها، وزيادة فى التقشف كانت تلك الوجبة عادية ولا تحضر تحضيراً خاصا يناسب فترات صيامهم.

• والغريب أن دعوة "زرادشت" بعدم الصيام وجدت أنصاراً من"المزدكيين" الذين استقروا مابين أذربيجان، وأرمينية، وبلاد الديلم ودينور وفيما بين أصفهان وبلاد الأهواز وهم من نادى فيهم "مزدك الأول" بتناول اللذات والعكوف على الشهوات والأكل والشرب.

• أما فى العصور الوسطى فقد جاء حاكم فى الهند يدعى "أكبر" فى العصر السادس عشر الميلادى وهذا الحاكم لم يقض بتحريم الصوم فقط بل تطرق لتحريم الحج وتشييد المساجد أيضا.

• وفى الصين قد أصدر الإمبراطور "نـاى دزونـج" الـذى كـان حاكما للـصين مـن سـنة ٦٢٧: ٦٥٠م قانونـا يقـضى بـألا يـصدق أى إمبراطور على حكم الإعدام إلا بعد أن يصوم ثلاثة أيام حتـى يـضمن العدل.. وذلـك بعـد أن سره سروراً بالغـا، أولئـك الـسجناء، الـذين صدرت ضدهم أحكام بالإعدام، فصرفهم الإمبراطور من السجن إلى حرث الأرض، مكتفيا منهم بوعد بالعودة للسجن، فلما انتهى عملهم، عادوا جميعا فأمر بالإفراج عنهم، ثم اتخذ هذا القرار.

• وفى عهد "يوانج شوانج" كان العـلاج فى الـــهند يبـدأ بـصيام سبعة أيام وغالبا ما كانت تنتهى بالشفاء.

• أما فى مصر القديمة فقد كانت هناك تشريعات متفرعة، تجمـع بين الفرض والنافلة، والامتناع المطلق عن الطعام والشراب، والامتناع عن أحدهما فقط وحـددت لـه الأوقـات الثابتـة، أو المتعلقـة بظـروف عارضة، فقد كانوا يعتقدون، أن بقاء الصحة فى حالة جيـدة، لا يتـأتى إلا فى حالة صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

وكان على خادم المعبد، صيام سبعة أيام متتالية، من غير ماء، قبـل أن يلتحق بالمعبد، وقد تمتد هذه الفترة إلى اثنين وأربعين يوما.

ويمر الكاهن فى صيامه بمراحل، أولاها صيام عشرة أيام عن أكل اللحم، وشراب النبيذ، ثم يعقب ذلك، تلقينه وإجابته المتعلقة بالمـسائل المقدسة، وذلك بعد صيام عشرة أيام أخرى.

• وقد جرى الحديث عن وصيـة مصرية قديمة – ترجع لعهـد

"الزعامسة" فى الدولة الحديثة- من وصايا "التنجيم" خاصة بطرد تأثير الخوف من السحر وما شابهها بالامتناع عن الأكل والشرب فى اليوم التاسع عشر من الشهر الرابع من فصل الفيضان الذى يوافق "كيهك" فى الشهور القبطية.

• على أن أخطر ما درج عليه فريق من البشر، نوع من الصيام عجيب غريب- سواء امتنع فيه الصائم عن الطعام أو الشراب، أو امتنع عن اللحم ونتاج الحيوان من لحم وبيض ولبن وزبد، وما إلى ذلك، وغرابة هذا الصيام بسبب ما يمارس لأجله وهو بدعوى "طرد الجن" إذا مس إنسانا، ثم تعدى الأمر إلى دعوى "السيطرة على الجن نفسه" وما شابه ذلك، وقد استغل ذلك بعض الناس ممن أرادوا السيطرة على الضعفاء الذين يقتنعون بهذه الأمور، وأهل هذا الصيام، موجودون بالشرق الأدنى، ويسمونه رياضة، وعلى المتريض أن يصوم لهذه الرياضة بشرطها، وأن يؤديها بحقها غير منقوص، حتى يتمكن من رد كيد الوشاة، والجمع بين المحبين.

* * *

**ولنتناول بإسهاب الصيام وصوره المتعددة فى بعض العقائد والحضارات المختلفة.. ولنبدأ بالهند "أم العجائب".**

## الصيام فى الهند

الهند حقا "أم العجائب" فتعددت بها الديانات من قبل التاريخ إلى أن دخلت عصرا تاريخيا ونشأت فيها الحضارات وأرخ لها علماء التاريخ والحضارة.

وللزيادة البشرية والمساحية فى الهند وجدت العقائد المتعددة مرتعاً لها بين قبائلها وناسها، فالبعض قدس بعض الحيوانات، والبعض الآخر قدس بعض الأجرام السماوية، وكانت أولى تلك الديانات البدائية "الجندريهكنية" **فكيف كانوا يصومون؟!**.

- **الصوم فى الديانة الجندريهكنية:**

هذه الديانة خص أهلها القمر بالتقديس وكانوا يعدونه من الملائكة ويسجدون لتمثاله ويقدمون له القرابين وكان لهذه الديانة طقوس صيامية خاصة فيستغرق الصيام النصف من كل شهر قمرى ويظلون صائمين حتى يأتى الهلال الجديد فيفطرون ويقدمون القرابين لصنمهم الذى يقال له: "جندركيت" ثم يصعدون للأسطح للدعاء، ومن ثم يعودون لتناول طعامهم حين ينتهون.

* * *

وقد دخلت الهند عصراً تاريخيا بالغزو الآرى الذى احتلها منذ أكثر من ألف وخمسمائة سنة ق.م، ووطدت هذا الغزو دعائم الديانة "البرهمية"، **فماذا عن الصوم فى هذه الديانة؟!**

- **الصوم فى الديانة البرهمية:**

اختلف كبار الكهنة البرهميين عن صغارهم فى واجب الصيام: فطبقة "السيناتا" التى تمثل كبارهم تصوم يوميا فترة تزيد قليلا على ساعة فلكية تبدأ بغروب الشمس وتنتهى بغياب الشفق، ويمتنعون خلالها عن الطعام والشراب.

وقد وجب أيضا على الكهنة – صغار وكبار- أن يصوموا أول فصل الخريف والشتاء والربيع والصيف مضافا لذلك اليوم الأول واليوم الرابع عشر من كل شهر قمرى.

كما وجب على البراهمة جميعا الصيام إذا عرض الكسوف للشمس، وهذا الصيام يستمر مدة الكسوف، ويكف فيه عن الصلاة والاتصال الجنسى.

- وعموما ليس فى الصيام ما بلغت قسوته فى صيام البرهمية فهو فى بعض الأحيان تعرف بدايته ونهايته، وفى البعض الآخر يرتبط بنهاية الحياة فى الإنسان نفسه تطبيقا للزهد الذى ينكر حق الجسد.. والذى أمعن فيه البعض لحد تعذيب النفس حين يتبارون فى تحطيم أرقام قياسية فى الصوم أو دفن نفوسهم صائمين تحت الأرض.

* * *

- **الصوم فى العقيدة اليوجية:**

وننتقل بعد ذلك لعقيدة "اليوجية" وهى عقيدة مأخوذة عن البرهمية، **فكيف كان الصيام بهذه العقيدة؟**

هذه العقيدة من العقائد المسلمة بأصول "الفيدا" ولـها فلسفتها الخاصة فكانت تهدف لفصل "العقل عن الجسد" فكانوا يحاولون الخلاص من المادة فيقيمون على الصيام الدائم الأبدى، حتى يتخلصوا نهائيا من الغذاء بكافة صوره، تاركين الجسد يستمد قوته وحاجته من الشمس مباشرة لأنهم يرونها مصدر الحياة للنبات والحيوان معا.

وليت الأمر كذلك فقط بل أصبح الصائم يصوم صياماً أبدياً لافطر فيه، ولايوجد رب يرضونه بهذا الصيام وإنما محاولة من الصائم للتأله وأتباع هذه العقيدة لا يبغون إلا مرضاة براهما ويتعبدون من أجل ذلك.

* * *

- **الصوم فى العقيدة الجانتية:**

وهناك أيضا ديانة ظهرت فى الهند فى منتصف القرن السادس قبل الميلاد حين توفى بوذا عام ٤٨٠ ق م وكانت تسمى "الجانتية"، وهذه الديانة من الديانات التى لا تقر الغيب ولا تؤمن بوجود الله بل كانت تقر بالتناسخ الذى يتم بحلول الروح فى الأجساد الأخرى دون اختيار لصاحبها بمعنى وجود قوة خفية تدفع تلك الأرواح لتلك الأجساد والبشر ينساق لها طوعا أو كرها.

وكان زعيم الجانتية - الذى توفى والداه صياما- ففجع بذلك وجال فى إقليم البنغال الغربى زاهداً منكراً حقوق جسده ثلاثة عشر عاما كانت كفيلة بالتفاف الأتباع حوله الذين اختاروا له لقب "ماهافيرا" - أى البطل العظيم.. وعلى الرغم من التفاف الأتباع حوله

واقتناعهم بفلسفته إلا أنه لم يقبل على الموت صائما كما فعل والداه، وما يعنينا فى هذا الأمر كيفية صيامهم.

• كان صيام "الجانتيين" يؤدى إلى الموت فقد حث زعيمهم "ماهافيرا" أتباعه على ذلك، فكان صيامهم أساس العبادة وهو للخلاص من الحياة، فكان الموت بهذه الشعيرة بجانب أنواع الموت الأخرى التى كانوا يقبلون عليها.

* * *

• **الصوم فى العقيدة البوذية:**

البوذية عقيدة اعتنقتها بعض القبائل الهندية متأثرة بزعيمها "بوذا".. **فمن هو بوذا؟**

بوذا هذا هو من ذهب يبحث عن "الحقيقة" وعكف فى انطلاقته على الزهد "اليوجى" - أى التقشف- وانتهى به الأمر بأن يأكل حبة أرز واحدة فى اليوم، وكان يقسو على نفسه بشدة محاولاً أن يخضع إرادته له ويتحكم فى نفسه، وبعد أن مارس هذا الزهد لحوالى ست سنوات أعلن كفره به وأضرب عن ذلك الصيام وأعلن لأتباعه أن نعيم النفس هو فى التخلص من الحياة، وأن ثواب التقوى فى أسمى منازلها ألا يعود التقى إلى الحياة.. وعلى هذا الأساس بنى عقيدته وأخلاها من أية طقوس تعطى نصيبا من القدسية لعالم الغيب الذى رأى أنه لا وجود له ولا داعى لتحمل المشقة فى سبيله.

وعلى الرغم من أن بوذا كان ملحدا إلا أن أتباعه اعتبروه إلها، وعلى الرغم أيضا من أنه كفر بالصيام إلا أن أتباعه أخذوه شعيرة.

وتعددت الفرق من بعد بوذا إلى ثمانية عشر فرعا بعد قرنين من وفاته فمنهم من صاموا صياما فى أيام معينة، ومنهم من فرضوا صياما أبديا على الناسك فليس يطعم غير وجبة واحدة فى الضحى ويستمر طوال حياته على ذلك، وهذه الفرقة قد فرضت على الناسك أيضا الرهبنة واعتزال النساء.

هذا وقد رسم كهنة البوذية صيام أربعة أيام من كل شهر قمرى وهى اليوم الأول، التاسع، الخامس عشر، والثانى والعشرين وأيضا يوم آخر عند ختام الفصل المطير.

* * *

• وبعد أن تناولنا العديد من العقائد الدينية التى مورست بالهند يجب ألا نترك هذا الموضوع إلا إذا نوهنا عما كان يحدث من تحريم لبعض أنواع الطعام والصيام عنها، كما كان يحدث فى بداية القرن الخامس الميلادى، فكانت معظم الهند تمتنع عن أكل اللحوم والبصل والثوم والمسكرات واستمر هذا التحريم لفترات طويلة مع زيادة عدد الأصناف المحرمة.

وكان أول مرسوم ملكى أصدره " أوشوكا فارذانا" قد صدر عام ٢٧٣ ق.م وفيه أوجب على التلميذ فى الثامنة بجانب ما يحفظ من نصوص أن يمتنع عن تناول اللحم وأيضا عدم ذبحه.

• والغريب أن الديانة الجانتية أوغلت أكثر فى ذلك فمنعت أى عمل قد يؤدى لقتل الكائنات، ومن ذلك الزراعة حيث رأتها تمزق التربة وقد يقضى ذلك على الحشرات فحرمتها ومعها حرمت أكل العسل واعتبرته يخص النحل.

• وهناك نوع آخر من الصوم غير الصيام عن الطعام والشراب قد مارسه الهنود ولازالوا مثل الصيام عن الكلام وقد مارس هذا طائفة "اليوجيين" وغيرهم من "البرهميين" وهم يتخذون أوضاعا معينة فى شبه السجدة مثلا، أو من يرفع إحدى ذراعيه، والأشكال التى يتخذونها كثيرة ولكن أفواههم تكون مطبقة والصمت يعقدها وهم يركزون فكرهم فى شىء واحد ويمسكون بزمام قلبهم وحواسهم فى صمت ليخلصوا لطهارة الروح وقد تطول مدة الوضع مدى الحياة مثلا حسب رغبة وإيمان كل شخص فيهم.

• والصيام عن العمل يعتبر من شرائع تلك العقيدة – اليوجية- وخاصة ما يؤذى منه الحيوان ومعظم اليوجيين يتوقفون تماما عن العمل حيث إنهم لا حاجة بهم إلى طعام ويرون أن حرارة الشمس فيها الكفاية، وأنهم برياضة اليوجا التى يتقنونها - حتى أنهم يستطيعون أن يوقفوا أنفاسهم وقتما يشاءون- معتبرين أنفسهم آلهة.. وكيف للإله أن يعمل.. ومع ذلك فقد جال معظمهم الأقاليم المجاورة وكان لهم أتباع وموارد رزق كثيرة من بر المحسنين والانتساب إلى طائفتهم مما قد يعطى شرعية الانقطاع عن العمل والصيام عنه.. وشاركهم فى ذلك بعض البرهميين والبوذيين.

• **ولكن إذا كان هذا حال الصيام فى الهند القديمة وحال طوائفها المتعددة العقائد والتى لها جذور للآن، فماذا عن البلاد المحيطة بها فى تلك الأزمنة؟**

## الصيام فى بلاد الشرق الأقصى

• إذا نظرنا إلى بلاد الشرق الأقصى قديما المتمثلة فى الصين واليابان وسيلان وكوريا والتبت وكمبوديا وسيام وبورما وشبه جزيرة الملايو وتركستان ومنغوليا سنرى أن هذه البلدان قد مرت بديانات بدائية كعبادة "الأسلاف والأجداد" التى عرفت باسم "شنتو" فى اليابان، وكانت هذه العبادة سائدة فى الصين أيضا فى تلك الأزمنة.

ومن قبل ذاك برزت فى الصين عقيدة ترتبط بنظرية "وحدة الوجود" وكان من أقطابها "لاهوتيسيه ٦٠٤ ق.م" وكان يدعو لاعتزال الحياة العملية وكان مذهبه ذا تأثير روحى كبير فى نفوس الصينيين.

• وسنجد أن البوذية سرعان ما انتشرت فى بلدان الشرق الأقصى كلها بما فيها الصين واليابان بعد أن خبا نورها فى الهند ووجدت أتباعا تتزايد أفواجهم مع مرور الأيام، ولكنها هذه المرة أخذت وجهة سياسية فى بعض البلدان وتخلصت أيضا من تشاؤمية بوذا وتشجيعه على الصيام حتى الموت لتطهير النفس.. مع أن بوذا نفسه كما ذكرنا قد كفر بذلك ولم يمت هكذا بل مات موتة طبيعية، ومع ذلك فالبعض من تابعيه قد مات إما انتحاراً أوحرقا بالنار وفقا لمعتقداتهم البوذية.

• وقد اكتسحت البوذية الصين وأصبحت مركز الثقل فى العقيدة حتى إن الإمبراطور الصينى "فوتى٥٨: ٧١م" أقر أنها خير عون للحاكمين وأنه يجب نشرها.

• وقد وجدت البوذية أيضا فى اليابان أباطرة أيدوا تشريعاتها رسميا وقد شقت طريقها إليها فى منتصف القرن السادس الميلادى، وفى مذاهب متضاربة ولكنها اختلفت عن عقيدة بوذا الأصلية حيث كان فيها بعض التطوير على الرغم من صدور القرارات الملكية مثلا بمنع ذبح الحيوان... وهكذا.

وما يهمنا هنا أن هذه البلدان قد اتبعت عقيدة بوذا وطريقة الصوم عنده، ولكن هذا لم يستمر طويلا إذ حدثت ردة فى اليابان متمثلة فى الكهنة البوذيين أنفسهم الذين لم يحترموا شعائرها وأقبلوا على تناول اللحم متناسين القانون.

* * *

**• وإذا كان هذا هو الحال فى بلدان الشرق الأقصى فكيف كان الحال فى تلك الأزمنة فى بلاد فارس؟! ومن هم الفرس؟**

# الصيام فى بلاد الشرق الأوسط

## أولاً: صيام فارس

**- من هم الفرس؟**

لقد أثبتت الدلائل أن هؤلاء الفرس سلالة من أصل هندى- أوروبى هبطوا على الشرق الأدنى والمتوسط غازين واستقروا ليبنوا حضارة ومجداً حربيا.. ولقد كانت فارس القديمة فيما وراء القرن الرابع عشر من قبل الميلاد أحد البلاد ذات الديانة الهندية وبالتالى فى تلك الفترة كانت تمارس شعائرها فى الصيام وظلت هكذا لفترات طويلة.

• ولكن فى القرن الخامس ق.م انتشرت اليهودية بين أبناء فارس حيث اعتنق ذلك الدين شعوب بأكملها.. ولن أطيل عليكم فى الأحداث ولكن الخلاصة أن جزءا من أهل فارس قد مارس شعائر اليهودية صلاة وصيام وهذا ما سنوضحه فيما هو آت حينما نتناول الصيام فى اليهودية.

•وكانت فارس فيما بعد ذلك – أى بعد الميلاد- مسرحا لدعوات مسيحية منحرفة كان أقواها إعلان القس "مانى بن فتق" أن للكون إلهين: إله الخير وإله الشر وما لبث أن تدرج بدعوته من الخير والشر، والنور والظلمة فأعلن أن "المسيح أرسل لينير الأرواح".

وقد جمعت "المانوية" عناصر شتى من البرهمية والميتهربة القديمة

إلى جانب أفكار مسيحية. وبدا أثر البرهمية النصرانية فى مبدأ المانوية "إنهاك الجسد طلبا للخلاص" كمبدأ عام يتناول بالتحريم اللذائذ والطيبات جميعا فى المأكل والمشرب والجنس.

وبلغ التشاؤم "بمانى" حدا جعله يعتقد أنه يجب على الإنسان أن يسرع بمغادرة الدنيا وهو وإن لم يناد بالانتحار إلا أنه لم يمنعه، ذلك أن يعد "الإنهاك" الوسيلة الوحيدة لإنقاذ الإنسان من الشر الذى يسيطر على العالم، وهذا الإنهاك يعنى ممارسة صيام حرمانى طويل يؤدى إليه.

ولذا قدم "مانى بن فتق"برنامج للصيام للقضاء على الإنسان وبرنامج صيامه كان كالآتى:

- صيام سبعة أيام أبداً من كل شهر.
- وإن نزلت الشمس القوس، وصار القمر نوراً كله يصام يومان لا يفطر بينهما.
- وإذا أهل الهلال يصام يومان لا يفطر بينهما.
- وإذا صار نور فى الجدى يصام يومان.
- وكذلك إذا أهل الهلال ونزلت الشمس الدلو ومضى من الشهر ثمانية أيام يصام حينئذ ثلاثون يوما يفطر كل يوم عند غروب الشمس.
- وكذلك كان هناك صيام يومى الأحد والاثنين.. وهو بعينه الصيام الذى كان يصام فى بابل تقديسا للشمس والقمر.

وإلى جانب هذا الصيام حرم كذلك "مانى" اللحم والخمر وجعلهما من المحظورات.

• وهناك أيضا فرقتان نصرانيتان أخريان هما فرقتا "المرقيونية" و"الديصانية" وهاتان طلبتا الصيام أبداً وقد هلكتا هاتين الفرقتين ولم يعد لهما أثر على مدى العصور.

**• وهكذا وبعد أن تناولنا نبذة عن الصيام فى بلاد فارس وما آل إليه على يد المتطرفين لازال أمامنا بعض المحطات سنتوقف عندها قليلا قبل التطرق لصيام الأنبياء، فلازال أمامنا محطة بابل وآشور وكيفية الصيام فى تلك البلدان، وكذلك كيف كان الصيام فى مصر القديمة، مصر الفرعونية وكذلك كيف تقبل فكرة الصيام فلاسفة اليونان والرومان وكيف طبقوها وكذلك الصيام فى الجزيرة العربية.. فإلى أولى المحطات محطة بابل وآشور.**

***

## ثانيا: الصيام فى بابل وآشور

أولاً وقبل أن نلقى الضوء على كيفية ممارسة هؤلاء للصيام وخاصة لما لهؤلاء من حضارة لازالت آثارها تشد القلوب قبل العيون.. لابد لنا أن نتعرف على مكانهما جغرافيا.

بالطبع وكما نعرف جميعا فبابل وآشور بلدتان عراقيتان إحداهما تقع بجنوب العراق وهى بابل، وشمالها فى شكل مثلث تقع آشور، وقد ذكر العالم "رولنسن" أن مساحة آشور كانت تساوى ما يعادل مساحة بريطانيا الآن على حين تقرب مساحة بابل من مساحة الدانمارك.

واستطاعت بابل أن تبنى حضارتها بين الرافدين دجلة والفرات، وكانت شعوب هذه المنطقة والمناطق التى تحدها فيما قبل ألفى عام ق.م خليطا من أصول شتى آرى وسامى وكوشى، ولذا نجد أن الآلهة فى هذه الأمة تجاوزت فى إحصاء رسمى لها حوالى خمسة وستين ألف إله.

وبالطبع أيضا فقد أتاح وجود كل تلك الأجناس بالعراق أن تنمو حضارة عريقة ذات علم وفن وفلسفة وتشريع حتى إنها سبقت أعرق مدنيات أوروبا فى اليونان، وروما فى ذاك الوقت وبلا منازع.

أما آشور فقد استطاع شعبها أن يتميز على غيره من الشعوب فى القرن الخامس والعشرين ق.م واستمر ملكهم لحوالى ٢٢٥٠ ق.م.

• وإذا كنا قد تحدثنا عن تلك الحضارة بإيجاز.. فهذا من أجل الوصول للديانة التى كانت تحكم تلك المنطقة فى هذه الآونة لنتعرف على كيفية صيامهم.

فعن الديانة يمكنا القول إنه تكاد ديانة الدولتين أن تكون واحدة وكان كلاهما يمكن أن يعبد آلهة الآخر ويقيم طقوسه، إلا أن الديانة البابلية الكلدانية غير السماوية كانت لها أثر مباشر على سكان تلك المنطقة، وكان الصيام عنصرا أساسيا فى تشريعاتها وكانت أيام صيامها تعرف باسم "شيتو" وكانت عبادة للأجرام السماوية.. **فكيف كان صيام الكلدانيين؟**

كانوا يصومون ٣٠ يوماً وهى عدد ما تقطعه الشمس فى كل برج من بروجها ويمتنعون عن الطعام والشراب من شفق شروق الشمس لشفق غروبها ويفطرون على الألبان والنباتات إلا ما حرم لديهم.. وقد قسموها ثلاثة أقسام:

(١) قسم يصومون فيه أربعة عشر يوما متتالية فى فصل الشتاء وذلك موافقة لأعداد الكواكب السبعة المشهورة قديما وأفلاكها.

(٢) وقسم يصومون فيه سبعة أيام فى الربيع موافقة لأعداد الكواكب وحدها.

(٣) وقسم يصومون فيه تسعة أيام فى أواخر الصيف موافقة للأفلاك مع فلكى الثوابت والمحيط.

وقد امتلأت المنطقة العراقية وخاصة الأقاليم الجنوبية منها بفرقة كانت تسمى "الصابئة"، وذلك كان قبل ألفى سنة من ق.م، وكانت ديانة هذه الفرقة مفتوحة على مدى التاريخ والزمان يأخذون فيها ما يستحسنون من شعائر الديانات الأخرى.

فمثلا نجدهم يأخذون من بابل تقديس الكواكب، ويأخذون التوحيد من مناهج إبراهيم الخليل - عليه السلام- ويعتنقون ما تحرمه الهند من أنواع الطعام، وحين ظهرت النصرانية مارسوا التعميد، وعندما برز الإسلام أخذوا عنه الوضوء وركعات الصلاة.. **ولكن ماذا عن منهجهم فى الصيام؟!**

فى الصيام كان منهجهم مماثلاً للمنهج البابلى ولكنهم أحيانا كانوا يصومون الأيام متفرقة أو مجتمعة، فالثبات ليس من سماتهم.

وقد قال ابن النديم عن صيامهم- وهو صاحب المرجع الأول فى شأنهم ما يأتى:

" المفترض عليهم من الصيام ثلاثون يوما، أولها: لثمان مضين من اجتماع آذار، وتسعة أخر أولها لتسع بقين من اجتماع كانون الأول، وسبعة أيام أخر أولها لثمان مضين من شباط وهى أعظمها.

ولهم تنفل من صيامهم، وهو ستة عشر، وسبعة وعشرون يوما. وقال عن عيدهم فى "نيسان":

ويوم الثامن منه يصومون ويفطرون على لحوم الخراف".

وعن تشرين الثانى يقول:

"يصومون فى أحد وعشرين تسعة أيام آخرها يوم تسعة وعشرين لرب البخت "المشترى".

وعن شباط يقول:

"يصومون فيه سبعة أيام، أولها التاسع منه، وهذا الصوم للشمس الرب العظيم رب الخير ولا يأكلون فى هذه الأيام شيئا من الزفر، ولايشربون الخمر ولا يصلون فى هذا الشهر إلا للشمال والجن-والشياطين".

وتعتبر الصابئة من أولى الديانات التى أخذت بنظام "الاجتماع" الفلكى لتوقيت صيامها ومنها تعلم غيرها واتخذ طريقها.

• أما فى "أور" جنوب "بابل" فقد ظهر إبراهيم الخليل – عليه السلام- وكان ذلك قبل الميلاد بنحو ألفى سنة، وقد تقرر الصيام فى شريعته، فكان لونا من عبادتها، ونقل صيامه ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ وهم: معاذ بن جبل، وابن مسعود، وابن عباس – رضى الله عنهم وأرضاهم- ولقد ورد ذلك صريحا فى حديث ابن ماجه – رضى الله عنه- من رواية ابن لهيعة – رحمه الله-، ففى تتمته"وصام إبراهيم – عليه السلام- ثلاثة أيام من كل شهر، وصام الدهر وأفطر الدهر".

* * *

**• وإذا كنا قد تناولنا الصيام فى الحضارة العراقية وعلى أرض العراق، فماذا عن الصيام فى مصرنا الحبيبة- مصر القديمة؟ وكيف كانت عبادتهم وما هى الديانة التى اتبعوها؟!**

## ثالثا: الصيام فى مصر القديمة

قبل أن نتحدث عن الصيام فى مصر القديمة لابد لنا من إلقاء الضوء على العقيدة التى التفوا حولها وارتبطت بها حياتهم وشكلت لهم طقوسهم من قرابين، وصلاة، وصيام، وحج ومناسك كثيرة مارسوها على مر العصور.

بالطبع كل يوم يظهر الجديد الذى تضيفه الأبحاث عن مصر القديمة، فالاكتشافات كثيرة ولايزال تراب مصر يحوى الكثير من الكنوز والمعارف، ولكننا سنتحدث هنا من خلال الأساطير التى وصلتنا وتعرفنا عليها بالفعل لنقترب ولو قليلا من حضاراتهم السابقة ومعتقداتهم وديانتهم، وأيضا طرق صيامهم، **فمن يا ترى الإله أو الآلهة التى اتبعها سكان مصر القديمة؟ وما الأسباب التى دعتهم للصيام؟ وما هى كيفية هذا الصيام؟**

وللإجابة عن السؤال الأول تقول كتب التاريخ والحضارة ومنها كتاب "انتصار الحضارة" - لهنرى برستد- أن المصريين اعتقدوا فى آلهة كثيرة ولكنهم ركزوا على عبادة اثنين من هذه الآلهة وهما أوزوريس،والشمس التى تبهر البصر بضيائها وأطلقوا عليها الإله رع.

ثم تطورت الأمور وسيطرت الإلهة "إيزيس"بعقيدتها وأصبحت المعبود المفضل لدى المصريين القدماء، ولكن من هو الإله أوزوريس الذى امتلأت الأفئدة والأرواح بحبه حتى أضحت مكانته

عظيمة بين الجميع واعترفوا بنعمه الجمة من حيث تعليمهم الزراعة وغيرها، فماذا قالت الأساطير عنه؟

يقال إن "أوزوريس" حكم مصر حكما عادلا، فريداً، فحقد عليه أخوه "ست" وحاول التخلص منه بوضعه فى تابوت جميل وإلقائه فى النيل.. وحينما علمت زوجته "إيزيس" بهذا تتبعت التابوت الذى يحمل جثمان زوجها واستردته من لبنان.. وحين علم "ست" – الذى أصبح ملكا على البلاد بعدما تخلص من أخيه- بهذا تربص لها وانتزع الجثمان وقطعه إربا وبعثرها فى الوادى إلا أنها ازدادت حماسا فى جمع أجزائه وأعادتها إلى مكانها من الجسد ثم روحت عليها بأجنحتها فدبت الحياة ثانية فى جسده، وحرك أوزوريس حينئذ ذراعه ثم انقلب على جنبه، ورفع رأسه، ولكنه كان من الصعب عليه أن يعيش كما كان فوق الأرض من قبل وأصبح لزاما عليه أن يحيا حياة أخرى خلفها وقنع بأن يكون إلها للموتى بعد أن كان ملكا على الأحياء.

ومن زار منا أسوان والأقصر واستمتع هناك بالصوت والضوء فى المعابد سواء "أدفو" أو "فيلة" لاستمع لهذه الأسطورة وبهر بطريقة حكيها، **ولكن ما يهمنا فى الأمر كيف عبده القدماء؟**

لقد جعلت الأساطير "أوزوريس" رمزاً للعديد من الأشياء المحسوسة، فهو "النيل"، وأيضا "التربة"، و "الزراعة"، وهو "حاكم عالم الموتى" الذى لا يقهره الموت، وهو "الفيضان" واهب الخصب، ومن ثم وجدوه أقوى من الإله "رع" لأنهم فلسفوا الأمر بأن الشمس تغيب مساء وراء التلال الغربية عابرة بوابة العالم السفلى عالم الموتى

الذى يحكمه أوزوريس، ولذا فهو الأقوى بل "القوة المطلقة" واعتبروه صاحب السلطان على الآلهة العظيمة.. والأعلى بين الأعظمين، والأعظم بين الأعليين والأب الأعلى للآلهة.

وقد قدم له الكهنة "تجسيدا" ليتلمسه الشعب وهى العجل "أبيس" الذى مثل أوزوريس فى الدولة الحديثة، ثم صار "تيسا" بمدينة "منديس".

ولكن سرعان ما تضاءل "أوزوريس" بجانب الإلهة "إيزيس" التى أشرقت شمسها وصعدت للقمة، وما أن كان العهد الرومانى حتى سيطرت إيزيس تماما على العقائد فى العالم المتمدين وقتها.

وأصبحت "إيزيس" الجوهر الجميل للآلهة جمعاء.. وجسدها الكهنة "بقرة" وأصبحت إلهة لكل مدينة من ورما إلى الهند وفارس، ومن البحر الأسود للأحمر كانت لها السيادة.

وظلت عقيدتها تنمو حتى نهاية القرن الثانى الميلادى ثم أخذت تخبو وتترك الأرض التى عبدتها جزءا بعد آخر.

وعموما الأساطير القديمة رائعة وشيقة وقد احتفت بها الكثير من كتب الحضارة والتاريخ والتى استقنا منها هذه الأسطر ولكن ما يهمنا فى هذا الصدد الشعائر والطقوس لهذه العقائد وخاصة الصيام منها.

وقد توصلت هذه المعارف لصور من شعائر أوزوريس من حيث الصلاة والصيام والحج والقرابين.. **وقد كان صيامهم كالآتى:**

كان الصيام فرضا يشمل خدمة المعبد وكهنته.. فكان على خادم المعبد أن يصوم سبعة أيام متتالية من غير الماء قبل أن يلتحق بالمعبد وقد تمتد هذه لاثنين وأربعين يوما.

وكان تكريس الكاهن يمر أيضا بمراحل ولنأخذ لذلك مثال تكريس "لوكيوس" أحد كهنة إيزيس بروما:

فى المرحلة الأولى صام عشرة أيام عن أكل اللحم وشرب النبيذ حتى انتهى التكريس الأول.

وفى التكريس الثانى لقنه الكاهن "اسنيوس ماركلوس" واجباته المتعلقة بالمسائل المقدسة وذلك بعد صيامه عشرة أيام أخرى.

وفى التكريس الثالث تطوع "لوكيوس" فأطال فترة صيامه رغبة منه لا فرضا عليه، وهذا يعنى أن صيام الكهنة كان يجمع بين تشريعى الفرض والرغبة.

- **وإذا كان هذا عن صيام الكهنة، فماذا عن صيام الشعب؟**

صيام الشعب كانت له مواعيد دورية، وأحيانا كان يرتبط بحدث مفاجئ.. فمثلا كان الشعب يصوم أربعة أيام من كل عام تبدأ عندما يحل اليوم السابع عشر من الشهر الثالث من فصل الفيضان المسمى "أخت" وهو ما سمى بشهر "هاتور" من الشهور القبطية - فيما بعد- ثم تحتفل مصر كلها عندئذ بعيد حزين يقام رسميا فى "بوصير" يشترك فيه الجميع ليعبروا عن مشاعرهم نحو إيزيس وزوجها.. ويقال إن من مظاهر الحزن فى هذا العيد أن بعض النساء كن يجرحن أجزاء من أجسادهن ويضعن الطين على رءوسهن... إلى غير ذلك.

وهناك احتفال آخر كان يقام بعيد وقوع "أوزوريس" فى قبضة عدوه وأخيه "ست"، وكان يقام كل عام مصحوبا بالصيام ثم يضحون بثور ويفصلون رأسه وتنزع أطرافه ويحشى جسده بكل ما لذ وطاب ويفطر عليه الصائمون.

• وقد كان هناك نوع آخر من الصيام يفرض على النساء إذا مات العجل "أبيس" حيث ترتدى النساء ثياب الحداد ولا يدخل أفواههن شىء غير الماء والخضر مدة سبعين يوما يصمن خلالها تماما لا يتناولن غير هذا الطعام حتى يدفن "أبيس" ويعم الحزن مصر القديمة كلها.

ويقال إن هذه الفترة ابتدعها الكهنة حتى تكون أمامهم فرصة للحصول على عجل آخر بنفس الشاكلة فيصرحوا بعدها بهبوط الإله فى "أبيس" آخر فضلا عن الانتهاء من التحنيط.

وهكذا كانت التشريعات فى مصر صيامها متنوع ويجمع بين الفرض والنوافل وهى تشريعات لم يأت بها أنبياء.. وعموما نحن لم نقدم فى هذا الصدد كل ما قامت به مصر القديمة من صيام لأننا للآن نجهل الكثير وهذا ما أباحت به الاكتشافات الأثرية فلازالت أرض مصر تحوى الكثير.

* * *

**وسننتقل لحضارة أخرى ساهم فيها الفلاسفة والمفكرين فى ذاك الوقت، وسنتناول كيفية تناول الصيام عند اليونانيين والرومان القدامى! وما العقيدة التى دانوا لها؟.**

## رابعا: صيام الرومان واليونانيين

لو تتبعنا السيرة التاريخية فى تلك الأزمنة لكل من اليونان والرومان سنجد أن الأدوار الدينية بين البلدين واحدة وعناصرها الأولى متواجدة أيضا فى مصر وبابل والهند، ولقد بينا من قبل كيف طغت عبادة "إيزيس" على كل ما دونها ووجدت لها مكانا فى أكثر من بقعة بأوروبا قبيل وأثناء وبعد عصر الميلاد لنهاية القرن السادس الميلادى.

ولكن زاحمها فى تلك "إله الشمس" الذى شيده "أورليانوس" بعد أن قضى على نفوذ "زنوبيا" ملكة تدمر العربية عام ٢٧٢م ونقلها أسيرة مقيدة من يديها بقيد من ذهب تخليدا لذكرى ذلك النصر المبين، ونقل له حلى هيكل الشمس الذى بتدمر وذخائره، وكانت تلك الديانة طارئة على روما على الرغم من تغلغلها فى الشرق من زمن بعيد وخصوصا ببابل وآشور والهند.

وإذا تأملنا اليونان حينئذ سنجد أن ما كان يلفت النظر إليها فى تلك الآونة فلسفتها أكثر من دينها وعقائدها، وقد اعتنق فلاسفتها عدة ديانات حتى أن بعضهم رأى أنه من النضج أن يستطيع الإنسان الموت إذا أراد، فلم يكن الإقدام على الانتحار أمراً مزريا ولكنه له كل الاحترام، فمثلا "فيثاغورس" الفيلسوف الرياضى أنهى حياته بجوع متعمد وحرمان دائم أنهى عليه.

وكذلك "ليكورجوس" مشرع أسبرطة الذى رأى شرائعه تثمر خيراً فى شعبه وعز عليه أن يدور الزمن وتهوى شيئا فشيئا وفكر كيف يتجنب ذلك، فأوهم شعبه أنه يريد أن يذهب لأثينا ليطمئن على سلامة شرائعه باستفسار وحى "أبولون" وأخذ عليهم عهداً بأن ينفذوا شرائعه إلى أن يعود، ثم رحل لأثينا وتمم ما أراد وقرب قربانا "لأبولون" واستمع لكهنته، ثم يقال إنه عانق أصحابه وابنه وارتضى أن يموت حتى لا يتحلل مواطنوه من قسمهم مع أنه – كما يقول المؤرخون- كان فى السن التى يكون فيها الإنسان من القوة بحيث يستطيع الحياة، ومن النضوج بحيث يستطيع الموت إذا أراد، فقد رأى جميع ما تمناه متحققا فأمات نفسه جوعا معتقداً أن موت السياسى أكثر فائدة لمواطنيه من الحياة العاطلة.

• وعموما لقد اختلفت الاتجاهات والعقائد هناك فى تلك الآونة واختلف معها الصيام، ولكن كان للقوم دينهم الأصلى الذى اعتنقوه وكان لهذا الدين صيام.. ولنترك العقائد الفردية ونتجه للقوم بصفة عامة فكيف كان الغالبية يصومون؟!

كان هناك صيام خاص بالدور الكهنوتى للصغير والكبير، وصيام مختلف الأنواع يمارسه الشعب.

• ومن الصيام ما يؤدى قضاء لحق الشعيرة، ومنه ما يؤدى للظروف العارضة، وكان شعب الإغريق يقبل على أنواع مختلفة من الصوم أيام النوازل والخطر كما كانت هناك بلدان تستقل بصيام خاص بها.

• ومن أنواع الصيام التى مارسوها كانت أيام صيام تسبق "تنقيح القوانين" كل سنة، فكانت المحصنات الأثينيات يصمنها زاهدات متقشفات حافيات.

• وكان الشعب كله يصوم عشرة أيام قبل الحرب "استنزالا" للنصر.

• وكان أيضا "للتنبؤ" صيام، فكان على الكاهنة استعدادا للتنبؤ أن تصوم ثلاثة أيام لا تتناول خلالها إلا ورق الغار لتمضغه وتأخذ رحيقه حتى إذا قضت هذه الأيام يجلسونها على نضد عال ذى ثلاث قوائم ويشعلون تحته موقدا تتصاعد أبخرته ذات الرائحة الكريهة التى تجبر الكاهنة العذراء على استنشاقها حتى يتولاها اضطراب شديد يفسره الكهنة بأنه من عمل الآلهة، حتى إذا أخذت فى الهذيان أو تظاهرت به – تناول الكهنة كلماتها بحرص ويفسرونها بوجوه عديدة ولا يتوانون أحيانا عن إيذائها إذا تأخر الوحى.

• وكان رجال الدين فى جزيرة كريت يصومون مدى الحياة، عن أكل اللحوم والأسماك والطيور.

* * *

والآن سننتقل لمنطقة غالية علينا جميعا وهى الجزيرة العربية لنتعرف على حال العرب قديما وما مارسوه من معتقدات، وهل مارسوا أنواعا من الصيام أم لا ؟!

## خامساً: الصيام فى الجزيرة العربية قديما

تميزت الجزيرة العربية – قديما- بميزة لم تتوافر لغيرها فى أى بقعة من بقاع الأرض حينئذ حيث وجدت كل عقيدة سرت فى العالم المتمدين من يعكفون عليها فى تلك الأرض القاحلة.. فكيف كانت تصل تلك العقائد إليها وكيف وجدت مسرحا لها هناك؟

لقد وصلت إلى الجزيرة العربية معظم العقائد الدينية حيث كانت قلب العالم التجارى القديم فهى كانت المسيطرة على التجارة العالمية فى ذلك العهد واحتكر العرب السلع الهندية وسيطروا على المحيط إلى الهند.

وظلت الجزيرة العربية تتمتع بميزاتها التجارية الفريدة، فكانت تموج شمالها وجنوبها أجناس شتى تمثل شبه "توكيلات تجارية" لبلدانها المختلفة، وبمقدار ما كان هناك من أجناس كانت الأديان، وتسنى وقتها للعرب وخصوصا فى الشمال والجنوب أن يدرسوا عن قرب العقائد التى تأتى إليهم سواء ما كان هنديا أسيويا أو أوروبيا شرقيا أو غربيا، فعرفوا بذلك الصابئية، والمجوسية، والبرهمية، وأيضا عبادة الأجرام السماوية.

فمثلا نجد أن البرهمية اشتهرت بين سكان عمان، والصابئية فى الشمال والجنوب، وكانت المجوسية فى بطون من تميم، ودانت اليمن لعبادة الأجرام، ودان بها الشمال أيضا، بل زادوا على ذلك عبادتهم للجن والملائكة.

ولكن رغم كل هذه العقائد الواردة إليهم نجد أن وثنية الأصنام كانت دين الغالبية من العرب، فتقربوا إليها لتشفع لهم عند الله باعتبارها الملائكة بنات الله.

ولم تستطع العقائد الواردة أن تنتزع أو تقاسم الأوثان سلطانها فى قلب الجزيرة العربية.

ولقد كانت طبيعة البدوى وفطرته دافعا له لتلقى دين إبراهيم – عليه السلام– قبل أن يعكفوا على الوثنية بزمن بعيد أى قبل الميلاد بألفى عام.. وقد خاطب دينه أرواحهم وتلاءم معها وعاشت الجزيرة مع الوحدانية فترة نبوة مختارة على يد إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام– وأقام كلاهما قواعد البيت الذى قدسه العرب وحجوا إليه فى الجاهلية.

ولكن على مدار الزمن نسوا شريعة إبراهيم – عليه السلام– وطغت عبادة الأوثان ثانية وتوزعت هذه الأوثان بأرض الجزيرة من مشارف الشام إلى مرابض اليمن، وكانت تجمع بين الحجر والشجر كما كان منها الذكر والأنثى، وتفاوتت منزلتها فى النفوس، وذكر "هيرودوت" بعضها مقارنة بآلهة اليونان، فجعل ذو "الشهى" إله الكرامة مماثلا "لديونيسوس"و"باخوس" إلهى الخمر، واعتبر "اللات" "كافروديت". (تاريخ العرب– فيليب متى).

وقد حاول كهنتها إلباسها حرمة فمنعوا "الحيض" أن يدنين منها

واصطنعوا لها شعائر كالطواف حولها، واتخاذ حرم لها فى الأرض، وجعلوا لبعضها مذبحا وعتيرة.

وعلى الرغم من أنه كان للكاهن أثره فى نفوس القوم إلا أنه لم يكن له نفوذ سياسى مثل كهنة مصر أو الهند أو بابل مثلا.. ولكن كان حكمه فيما يعرض عليه قاطعا وكان يُشد إليه الرحال.

ولقد ادعى الكاهن حيلا عدة للتكسب من العرب معتمدا على طبيعة السخاء فى نفس العربى، فادعى مثلا معرفة الغيب والحماية مما يدبر فيه، فنال بذلك نذورا كثيرة أو إحسانا مما جعل بعض العرب يقدمون نصيبا للأوثان من الزرع والأنعام.

وإذا كان هذا هو حال الجزيرة العربية قديما، **فماذا عن صيامهم فى تلك الفترات؟!**

ربما صامت الأطراف فى الشمال والجنوب بحسب العقائد والشعائر التى اعتقدوها سواء أكانوا مجوسا أو براهمية أو صابئية، ونحن قد تناولنا طريقتهم فى الصوم من قبل.

أما قلب الجزيرة فكل ما وصل إلينا من أخبار وآثار يخلو من الحديث عن صيامهم، فكل ما عرفناه كان عن الأصنام وواجباتها ومذابحها وكهنتها وواضح خلو تعبدهم من تلك الشعيرة. ولكن اختلف الأمر مع دخول الديانات السماوية لأرضها وهذا سنتناوله فيما بعد.

وهكذا كان يمارس الصيام قديما بتشريع بشرى جاءوا به من أنفسهم، والكثير من هذا الصوم الوضعى قد اندثر عبر العصور أو كفر به أصحابه وأدركوا فشله وعدم جدواه.. وبعد أن تناولنا هذه النبذة عن الصيام عند البدائيين وفى العصور التاريخية المتوالية، وكيف كان البعض يصوم ليثبت مقدار طاقته على تحمل الصوم ليس إلا، وكان منهم من يصوم صوما أبديا ليمرر روحه كما يعتقد ويترك الدنيا بإرادته...و...و... إلى أن تنزلت الرسالات السماوية وشرع فيها الصوم.

* * *